مفهوم فلسفة التاريخ وبيان أهميته في نقد المرويات التاريخية

د. أبوبكر يوسف بابكر المشرف

أستاذ مساعد بكلية الدراسات الإسلامية - جامعة الخرطوم

المستخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى التّعرف على ضبط مصطلح فلسفة التاريخ، والمصطلحات ذات الصلة، لما لهم من عظيم الشأن في معالجة الإشكالات التي قد تعلق ببعض المسلمين نتيجة لتداول مرويات تاريخية لم يشترط رواتها الصحة عند ذكرها.

سلك الباحث في إعداد هذا البحث المنهج الاستقرائيّ التحليليّ التاريخيّ النقدي، وقد خلص إلى عدة نتائج أهمها أنّ القرآن الكريم قدّم عدداً من السُّنن الإلهية والنواميس التي لا تتغير ويسير وفقها التاريخ، والاهتمام بفلسفة التاريخ التي تهدف إلى تنقيح التاريخ بما يمكن تسميته بالتاريخ النّقديّ، والاستفادة من منهج ابن خلدون في استخدامه قواعد الاجتماع البشريّ في تمحيص الأخبار وتمييز صدقها من كذبها.

Abstract

This study aims to identify the definition of the term "philosophy of history" and the related terminology, due to their great importance in addressing the problems that may be caused to some Muslims as the result of the circulation of historical narrations whose narrators did not abide by authenticity when presenting them.

In preparing this research, the Researcher adopted the inductive, analytical, historical, and critical approach. The Researcher concluded to several results, the most important of which is that the Holy Quran presented a

number of heaven rules and cosmic laws, which do not change and followed by history, as well as paying attention to history philosophy, which aims to scrutinize history, what can be called "critical history" and take the advantage of Ibn Khuldoon's approach in using the rules of human consensus in examining the news and distinguishing its truth from its falsehood.

مقدمة:

دراسة التاريخ ترشدنا إلى قراءة صفحات التجارب البشرية الكثيرة والمتنوعة، وفحصها وتدبر أبعادها وخلفياتها، واكتشاف المؤثرات والسُّنن التي ساهمت في بعثها وإيجادها قصد التزود والاعتبار، ومحاولة تفهم كثير من الأحداث والصراعات والتأثيرات والحروب الحاصلة والمتولدة عبر الأيام في تاريخ البشرية الحافل والطويل.

أهمية البحث

1. ولَّى هذا البحث مضمونه شطر الدِّراسة المفاهمية عن فلسفة التاريخ والمصطلحات ذات الصلة، ؛ لمّا برز في السّاحة المعاصرة من اشتطاطٍ في المرويات التاريخية، وفساد في التأويل والأفهام، وترك المحاجة بالرأي والتناظر والبرهان إلى إشهار البندق وإخراج المدية وسلّ الحسام؛ فسادت بذلك الفوضى والاضطرابات بلاد الإسلام، ولهذا الزيغ الفكري في المنهج، ولهذه الأخطاء في التطبيق جذورها التاريخيّة المستمدة من تلك المرويات المكذوبة التي رسمت صورة غير صحيحة لأسلافنا دفعت ببعض العقول إلى تحليلات خاطئة تماماً وهم منها براء.
2. ضبط مصطلح فلسفة التاريخ، لما لهم من عظيم الشأن في معالجة الإشكالات التي قد تعْلقُ ببعض المسلمين نتيجة لتداول مرويات تاريخية لم يشترط رواتها الصحة عند ذكرها، وهذه المرويات لا تصح سنداً ولا متناً عند عرضها على قواعد الجرح والتعديل، حاوياً هذا البحث (لقاحات) العلاج لمن أُصيب بلوثة فكرية، ومحتقباً (جرعات) التّحصين للأجيال الناشئة.
3. التعرف على أبرز الأخباريّين الذين رموا بالكذب؛ فكان لهم الأثر السيئ في تزييف كثير من حقائق في تاريخ الإسلام.

مشكلة البحث:

أمَّا المشكلة التي يعالجها هذا البحث؛ فهي ندرة الدراسات والبحوث التي تتناول هذا الموضوع بالقدر الكافي، فجرت العادة من العامة على تصديق المرويات التاريخية بدون تثبت

وتنقيحها، مما انبنى عليه مواقف عقدية، تجذرت بسببه الخلافات بين الفِرَق والمذاهب الإسلامية وغيرها.

منهج البحث:

وقد سلكت في إعداد هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي التاريخيّ النقدي، كما أشار الباحث إلى منهج ابن خلدون في استخدامه قواعد الاجتماع البشري في تمحيص الأخبار، وتمييز صدقها من كذبها حتى يعلم النّاظر في التاريخ أنّ تلك الأخبار في نفسها ممكنة أو ممتنعة.

وقد احتوى البحث على عدد ثلاثة مباحث، يندرج تحت كل مبحث عددٍ من المطالب، ثم ختم البحث بخاتمة شملت أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: مفهوم التاريخ وأهميته

المطلب الأول: مفهوم التاريخ

في البدء نتعرف على تعريف مصطلح التاريخ عند المسلمين، ومن ثمَّ نذكر بعض الجوانب الأساسية لأهمية التاريخ الإسلامي.

(التَّارِيخ) جملَة الْأَحْوَال والأحداث الَّتِي يمر بهَا كَائِن مَا، وَيصدق على الْفَرد والمجتمع، كَمَا يصدق على الظَّوَاهِر الطبيعية والإنسانية، وَيُقَال فلَان تَارِيخ قومه إِلَيْهِ يَنْتَهِي شرفهم ورياستهم (إبراهيم مصطفى، 2004م، ج1ص13)، ولم ترد لفظة التاريخ في القرآن الكريم ولا في حديث نبوي، ولم يعرف أنّها وردت في الشعر الجاهلي، وإنّما وردت في رسالة أبي موسى الأشعري إلى عمر بن الخطاب ﷺ :(إنّه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ. فجمع النَّاس للمشورة، فقال بعضهم: أَرِّخْ لِمَبْعَثِ النَّبِيّﷺ وقال بعضهم: أَرِّخْ لِمُهَاجَرَةِ رسول الله ﷺفقال عمر: بل نؤَرِّخُ لمهاجرة رسول الله ﷺفإنّ مُهَاجَرَتَهُ فرق بين الحق والباطل) (ابن الأثير، 1417هـ، ج1 ص12)، وإن كان غياب المصطلح لا يعني غياب المعنى فلقد جاء في القرآن الكريم ما يدل على التاريخ، وعلى ضرورة الاهتمام به، ويتضح ذلك من الآيات التي تحمل لفظة القصص كقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾يوسف: ٣]، واستناداً على هذه الآية الكريمة فيقصد بالقصص رواية الأخبار الماضية

وأنباء الأمم السالفة والكتب التي أنزلت في العصور الخالية، أو يمكن إجمالها بالقول:إنّها رواية الأخبار المتتابعة.

وكلمة تأريخ من ناحية الاصطلاح العام تعني الزمن والحقبة كما هو في المعنى اللغوي، ثم تطور مدلول الكلمة بعد ذلك إلى أن أصبحت الكتب التاريخيّة، وأقدمها الكتب التي تتضمن مجموعات تراجم تتعرض لسنوات الميلاد والوفاة لبعض الشخصيات التي عني مؤلفو هذه الكتب بترجمتها. فموضوعه يقوم على الإنسان والزمان وأحوال كل منهما المفصلة للجزئيات، ولهذا السَّبب كانت كتب السيرة والمغازي والأنساب تدخل في عداد الكتب التاريخيّة(سالم،2008م،ص19).

أما تعريف التاريخ عند المسلمين فقد اختلفت عباراتهم في تحديد تعريفهم للتاريخ. ولعلّ ذلك راجع إلى سعة الموضوعات التي تدخل في مفهوم التاريخ، وقد حاول ابن خلدون أن يضيف تعريفاً محدداً لمصطلح التاريخ في مقدمته فقال:(هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيّام والدول والسّوابق من القرون الأولى تنمو فيها الأقوال، وتضرب فيها الأمثال، وتطرف بها الأندية إذا غصها الاحتفال، وتؤدي لنا شأن الخليقة، كيف تقلبت بها الأحوال، واتسع للدول فيها النطاق والمجال وعمّروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال، وحان منهم الزوال، وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع، وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق وجدير بأن يعد في علومها وخليق) (ابن خلدون، 2000م، ص5، 6). ويتبيّن من هذه العبارة أنّ ابن خلدون جعل للتاريخ تعريفين: أحدهما ظاهر والآخر باطن، فأما الظاهر عبارة عن سرد أخبار من سبقنا من الأمم والملوك، وأحوال من سبقنا من القرون، ويشير إلى تبدل أحوالهم. ويذهب إلى التعريف الظَّاهري للتاريخ كل من المقريزي حيث: عرّف التاريخ ببيان موضوعه فقال: هو (الإخبار عما حدث في العالم في الزمان الماضي) (الصلابي،2003م، ص7). وكذلك عرّفه السَّخاوي أنه :(هو التّعرف بالوقت الذي تضبط به الأحوال من مولد الرواة والأئمة ووفاة، وصحة، وعقل وبدن، ورحلة وحج، وحفظ وضبط، وتوثيق وتجريح، وما أشبه هذا مما مرجعه الفحص عن أحوالهم في ابتدائهم وحالهم واستقبالهم) (السّخاوي، 1983م،ص7)، فالسَّخاوي ركّز على مفهوم التاريخ عند علماء الحديث خاصة فذكر عن مفهوم التاريخ أنّه علم أحوال الرجال وضبط تواريخ ولادتهم ووفياتهم.

وأما الجزء الآخر من التعريف عند ابن خلدون فهو التعريف الباطن للتاريخ حيث نظر إلى علل الحوادث وأسبابها(الصلابي،2003م، ص15)، وحاول اكتشاف السُّنن التي تنظمها وأكدَّ على بدايات الحوادث وقيام الدول وتعليل سقوطها، فهو لا يرى أنّ التاريخ مجرد سرد للأحداث التاريخيّة، فهو شأن يدخل فيه كل أحد من العلماء وعامة النَّاس، بل لا بد من ملاحظة الوقائع والأحوال وتحكيم أصول العادة، وأحوال الاجتماع الإنسانيّ، وقياس الغائب منها بالحاضر، والحاضر بالذاهب؛ ولذلك يذكر ابن خلدون العلّة في وقوع كثير من المؤرّخين في الزّلل، والحيد عن جادة الطريق بسبب تلك النقولات التي لم ينظر إليها بعين الحكمة، والوقوف على طبائع الكائنات، عندما يقول: (وكثيراً ما وقع للمؤرّخين والمفسرين وأئمة النقل، من المغالطات في الحكايات والوقائع؛ لاعتمادهم فيها على مجرد النقل: غثاً أو سميناً، ولم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها، ولا سبروها بمعيار الحكمة، والوقوف على طبائع الكائنات، وتحكيم النّظر والبصيرة في الأخبار، فضلُّوا عن الحق، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط، ولا سيما في إحصاء الأعداد من الأموال والعساكر، إذا عرضت في الحكايات؛ إذ هي مظنة الكذب ومطية الهذر، ولا بد من ردها إلى الأصول وعرضها على القواعد) (ابن خلدون، 2000م، ج1ص15.)

وفي العصر الحديث يذهب سيد قطب إلى تعريف التاريخ قريباً من تعريف ابن خلدون والذي سمّاه العلماء فيما بعد ذلك بمصطلح فلسفة التاريخ، وإن كان ينظر إلى التاريخ ليس فقط سرد القصص والحوادث بقدر ما ينظر إلى تفسير هذه الحوادث وكيفية الاستفادة والتفاعل معها، ولهذا يقول: (التاريخ ليس هو الحوادث، إنّما هو تفسير هذه الحوادث، واهتداء إلى الروابط الظاهرة والخفية التي تجمع بين شتاتها، وتجعل منها وحدة واحدة متماسكة الحلقات، متفاعلة الجزئيات، ممتدة مع الزمن والبيئة امتداد الكائن الحي في الزمان والمكان) (قطب، 1987م، ص37)، ويظهر أنّ سيد قطب قد ركّز على الهدف والغاية من دراسة التاريخ وتدوين أخباره، وإلا فالحوادث والأخبار مهمة بلا شك وهي لبنات البناء التي لا يقوم هذا العلم بدونها(صاهل السلمي، 1988م،ص50)، إذن هو قريب من تعريف ابن خلدون لكن يبدو أنّ تعريف ابن خلدون أشمل من حيث النّص على الاعتبار بالأخبار وتحقيقها، كما أكّد على النّظر في العلل والأسباب إلا أنّه ينحى منحىً فلسفياً في حين أنّ سيد قطب كان أوضح في إدراك غاية التاريخ.

المطلب الثاني: أهمية دراسة التاريخ الإسلامي

تظهر أهمية دراسة التاريخ في الآتي:

1. ثبات السُّنن الربانية:

ذكر القرآن الكريم قصص الأنبياء، وقصص الطغاة المتجبرين، وأسباب هلاك الأمم والشعوب؛ لأنّها ستعاد وتكرر في تاريخ الإنسانية في الوقائع، ولا يكون الاعتبار إلا إذا قسنا أواخر الأمم بأوائلها، فيكون للمؤمن من المتأخرين شبه بما كان للمؤمن من المتقدمين، ويكون للكافر من المتأخرين شبه بما كان للكافر من المتقدمين، فالسُّنن الربانية الثابتة لا تتغير، كذلك فإنَّ ثباتها بعثٌ للروح من جديد، وداعٍ للتنافس في الخير والصلاح والعطاء، وكذا تفيد في معرفة أخطاء السابقين، والحذر من المزالق التي تمَّ الوقوع فيها عبر التاريخ أخذًا بالهدي النبوي فيما أخرجه البخاري قوله ﷺ (لا يُلْدَغُ المؤمن من جحر واحد مرتين) (البخاري، 2008م، ص517).

وقد حكى القرآن الكريم عدداً من السُّنن الإلهية التي لا تتغير كما يقول د. حران: (القرآن الكريم يقدم لنا خلاصات التجارب البشرية عبراً يسير على هديها أولو الألباب؛ فالتاريخ يسير وفق هذه السُّنن والنّواميس، وهي ثابتة لا تتغير، والقرآن الكريم كشف عنها النقاب وأكدّ وجودها، ونقلها في حركة التاريخ، في وقت ظل المؤرّخون والمفكرون يتخبطون في دراساتهم التاريخيّة محاولين الوصول إلى هذه السُّنن التي تحكم حركة التاريخ) (د0حران، ت:بدون، ص102)، وسأشير هنا إلى بعضٍ من هذه السُّنن التي وردت في القرآن الكريم لإثبات وجودها لينتبه لها أهل الإسلام فيقفوا عليها ويتأملوا فيها، ومن أمثلة تلك السُّنن ما يلي:

السُّنّة الأولى: إخراج المصلحين

من السُّنن الإلهية التي لا تتغير سنّة إخراج المصلحين في الأرض من البلاد؛ ليمثل ذلك الإخراج معلماً بارزاً في قانون التدافع بين الحق والباطل، ولو شاء الله تعالى لانتشر دينه وعلا في الأرض دون جهد البشر، ولكنّ الله تعالى لم يرد ذلك، بل أراد خلافه بحكمته البالغة، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [محمد: 4]، ومن أعظم صور المدافعة بيانُ الحق وإزالةُ الشبه، ورفع اللّبس عن الحق، مع بيان سبيل المؤمنين وسبيل

الكافرين، والأنبياء عليهم السلام أعظم الخلق شأناً في ذلك كله كما حكى القرآن الكريم عن حالهم أنّهم لما دافعوا قومهم بالحق جاء وعيد أممهم الكافرة لهم بالإخراج والنفي من بين أظهرهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ [إبراهيم :13.]،وأرخّ لنا القرآن الكريم هجرة إبراهيم عليه السلام من بلاد قومه ومولده إلى حيث يتمكن من عبادة ربه قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: 99]. فإبراهيم ﷺ أوّل من هاجر من الخلق مع لوط ﷺ وسار إلى الأرض المقدسة وهي أرض الشام(القرطبي، 2003م، ج15 ص97)،وقال تعالى عن قوم لوط ﷺ:﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل:56]، وقال تعالى عن شعيب ﷺ: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾الأعراف: 88]، وكانت أمنية ورقة بن نوفل أن يعود شاباً متيناً لينصر النَّبيّ ﷺ لمّا علم أنّ سُنّة الإخراج ستدور عليه ما دام نبياً، فقال له: (ليتني فيها جَذَعًا إذ يخرجك قومك)، قال ابن حجر: (وكأنّ الرسول ﷺ استبعد أن يخرجه قومه لأنّه لم يكن فيه سبب اقتضي الإخراج لما اشتمل عليه من مكارم الأخلاق) (ابن حجر، 379هـ،ج1ص26) فتساءل رسول الله ﷺ :(أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ)؟ فقَالَ ورقة : (نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودي وإن يُدْرِكْنِي يومُك أنصرك نصراً مُؤَزَّرًا) (البخاري، 2008م، ص1).

السُّنّة الثانية: الغلبة للمؤمنين باستيفاء شروط التمكين

من السُّنن الإلهية التي لا تتغير ولا تتبدل غلبة المؤمنين، وإن كانوا قلة، ما داموا مستوفين لشروط التمكين والنصر وهي: الإيمان والعمل الصالح، مع ابتعادهم عن أسباب الخذلان والتي أعظمها عموم المعاصي، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ [غافر: 51.]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: 47.]، فهذه الآيات وأمثالها تشير إلى نصر الله تعالى، وإعزاز أهل الإيمان ممن يحرصون على الدعوة، ويتحملون المشاق في سبيلها سواء أكان الداعية رسولاً كريمًا أم من آحاد المؤمنين، وهذا الإعزاز يكون في الحياة الدنيا قبل الآخرة، وعند قراءة التاريخ نجد أنّ مثل هذه السنة واقعية في التطبيق؛ إذ حدثنا القرآن الكريم عن قصة طالوت ملك بني اسرائيل حين ترأس فيهم، وخرج بهم إلى قتال عدوهم، فابتلاهم الله تعالى بالنهر، فشربوا كلهم إلا قليلاً، إلى جانب

أنّ الله ابتلاهم بقوة عدوهم، فشجعهم على الثبات وإقدام أهل الإيمان لما قالوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ [البقرة: ٢٤] أي استقلوا أنفسهم عن لقاء عدوهم لكثرتهم، فشجعهم علماؤهم العاملون بأنّ وعد الله حق، فإنّ النصر من عند الله ليس عن كثرة عَدَدٍ وَلَا عِدَدٍ(ابن كثير، 1988م، ج1ص420):﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: 249].

وعند التأمل في التاريخ الإسلامي يخرج الباحث بأنّ المسلمين إنما ينتصرون بتمسكهم بإسلامهم، وبهدي القرآن والسنة، وبعدهم عن المعاصي والظلم، وخير مثال يُمَّثل في أنّ الغلبة للمؤمنين وإن كانوا قلة غزوة بدر الكبرى والتي تمثل أول انتصار للمسلمين في حروبهم، ولم تكن من الوقائع الكبيرة من حيث عدد جيوش المتحاربين واستعدادهم الحربي؛ فإنّ عدد المسلمين كان نحو ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً يقابلهم نحو ألف من أهل مكة. وإلى جانب ذلك سطّر القرآن الكريم موقعة تاريخية عظيمة، وهي موقعة حنين، حين نظر المسلمون إلى جيشهم الكبير فاغتروا بالكثرة وقالوا: "لن نغلب اليوم من قلة"؛ لأنّهم وهم قلة كانوا يكسبون المعارك فكيف وهم اليوم يخرجون في عدد لم يجمعوا مثله من قبل حيث بلغ عدد الجيش اثني عشر ألفاً(ابن كثير، 1988م، ج6ص190)، ولكن أراد الله لهم أن يعرفوا أنّ الغلبة ليست بالكثرة قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة : 25] وكانت حنين درساً استفاد منه المسلمون فتعلّموا أنّ النصر ليس بكثرة العدد والعدة، وأنّ الاغترار بذلك ليس من أخلاق المسلمين، وإنّما الاعتماد على الله وحده، والثقة بنصره، بعد فعل الأسباب، وأن ينصروا الله تعالى، فمن ينصر الله ينصره قال تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد: 7] وهذا النصر الإلهي ليس فقط في زمن النُّبوة، بل كلما تمسك المسلمون بإسلامهم، كان الثبات والتأييد من المولى جلّ جلاله، وخير دليل على ذلك مما سطره لنا التاريخ الإسلامي في معركة القادسية؛ إذ كانت من أبرز المعارك التي انتصر فيها الإسلام في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، ووقتئذٍ كانت بلاد فارس من أبرز البلاد التي أظهرت العداء للإسلام والمسلمين، وحين وقعت معركة القادسية في شهر رمضان سنة ست عشرة من الهجرة النَّبويّة، خاضها المسلمون ضد الفرس بقيادة عسكرية ناجحة لسعد بن أبي وقاص، برغم الفارق الكبير بين جيش المسلمين وجيش الفرس من حيث العدة والعدد؛ إذ بلغ جيش

المسلمين فيها نحو عشرة آلاف مقاتل، بينما جيش الفرس مائة ألف وعشرين ألفاً، يتبعها ثمانون ألفاً، علاوة على ثلاثة وثلاثين فيلاً(ابن كثير، 1988م، ج7ص45).

2. إثبات صدق دعوى النُّبوة:

تظهر أهمية دراسة التاريخ الإسلامي في إثبات صدق دعوة النُّبوة والرسالة التي جاء بها النَّبيّ ﷺ ؛ فهو ﷺكان أمياً بعث في أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: 2]وقوله ﷺمن رواية ابن عمر ﷺ:(إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ، لاَ نَكْتُبُ وَلاَ نَحْسُبُ، الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا، يَعْنِي مَرَّةً تِسْعَةً وَعِشْرِينَ، وَمَرَّةً ثَلاَثِينَ) (البخاري، 2008م، ص149)، فلبث في قومه أربعين سنة يعرفون كل شيء عن حياته صغيرها وكبيرها، وما عهد عنه أنه جلس لأحبار يهود ولا رهبان النصارى، ولا لأحد ممن عرف اتصاله بالكتب السّماوية، ثم هو بعد ذلك يقوم في النَّاس فيخبرهم عن قصص الماضين، وتاريخ الغابرين، صدقاً من ربه، كما قال تعالى عن حاله وحال من يقصه على النَّاس من أخبار الماضين، والكتب التي أنزلها الله تعالى على العصور الخالية:﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣]، قال الطّبري: (وإن كنت يا محمد من قبل أن نوحيه إليك لمن الغافلين عن ذلك، لا تعلمه ولا شيئاً منه) (الطبري، 1420هـ، ج6 ص310)، وقد سمّاها القرآن الكريم "أَحْسَنَ الْقَصَصِ "،وذلك لصدقها وسلاسة عبارتها، ورونق معانيها، وهذا المعنى بينه سيد قطب بقوله : (فمحمد ﷺ لم يكن قارئاً ولا كاتباً، ولا عرف عنه أنّه جلس إلى أحبار اليهود والنصارى) (قطب، 1415هـ، ص144).

3. معرفة أخبار الأنبياء والمرسلين:

من أعظم ما يمكن ذكره في أهمية دراسة التاريخ الإسلامي معرفة أخبار الأنبياء والمرسلين لما لها من ارتباط وثيق من معرفة طبيعة التاريخ الإسلامي؛ إذ إنّها من أعظم الأسباب الجالبة للإيمان وزيادته، وبمعرفة علم التاريخ الصحيح يتعَّرف دارسُه إلى سير النَّبيّ محمد ﷺ والأنبياء فتحصل الأسوة بهم وقد أمرنا الله بالاقتداء بهم، فقال تعالى في ذكر الأنبياء عليهم السلام ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] وقال أيضاً في حق النَّبيّ محمد

ﷺ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21]، قال عن إبراهيم ﷺوالذين معه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الممتحنة: ٦]،.وتبعاً لمعرفة أخبار الأنبياء والمرسلين معرفة الحاجة إلى إرسال الرسل عليهم السلام لما لها من ارتباط وثيق بفهم طبيعة التاريخ الإسلامي.

والوقوف على حاجة الخلق إلى الرسل الكرام من أعظم البواعث التي تدفع الإنسان لقراءة تاريخهم؛ ولذلك فإنّ مما يذكره العلماء من أهمية بعثة الرسل عليهم السلام ما يلي: -

أولاً: الرسالة ضرورة في إصلاح العبد في معاشه ومعاده؛ فمن أعظم نعم الله على عباده وأشرف منّة عليهم أنّ أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وبيّن لهم الصراط المستقيم، ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الأنعام والبهائم، بل أشر حالاً منها، فمن قَبِل رسالة الله واستقام عليها فهو من خير البرية، ومن ردّها وخرج عنها، فهو من شر البرية، وأسوأ حالاً من الكلب والخنزير والحيوان البهيم.

ثانياً: الرسل عليهم السلام وسائط بين الله تعالى وبين خلقه في أمره ونهيه، والضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه والعين إلى نورها، فأيّ ضرورة وحاجة فُرِضت، فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير.

ثالثاً: لما كان الإنسان مفطورًا على عبادة الله تعالى وهو مأمور بذلك وجوباً، لزم أن تكون تلك العبادة على علم بالمعبود وهو الله تعالى، وهذا العلم لا يمكن الوصول إليه مفصلاً بالعقول المجردة، كما أنّ العبادة لا يمكن معرفة كيفيتها بالعقول المجردة وبذلك يكون الإنسان بحاجة دائمة إلى خبر من مصدر موثوق يمكنه من معرفة الله تعالى وكيفية عبادته، والمتتبع لحال النَّاس الذين بعث إليهم الرسل، وما وصلوا إليه من انحطاط العقلية الاعتقادية، حين ضلوا عن عبادة الله إلى عبادة الشمس والقمر والكواكب والنار وغير ذلك من أنواع الآلهة، فكان انحطاط أولئك الأمم في الجانب الغيبي من التفكير.

4. كشف التحريف الداخل على التاريخ:

تبرز أهمية دراسة التاريخ الإسلامي لكل من أراد أن يدافع عن الإسلام وتعاليمه الحميدة؛ وذلك أنّ كثيراً من التحريف المتعمد أو غير المتعمد بغضّ النّظر عن النّوايا وما يختلج في صدور أصحاب الأقلام التي تصدّت ناشرة لروايات مندسة في التاريخ الإسلامي، قال ابن خلدون:(فقد زلّت أقدام كثير من الأثبات والمؤرّخين الحفّاظ في مثل هذه الأحاديث والآراء، وعلِقتْ بأفكارهم ونقلها عنهم الكافة من ضَعَفة النّظر والغفلة عن القياس، وتلقّوها هم أيضاً كذلك من غير بحث ولا روية واندرجت في محفوظاتهم حتى صار فنّ التاريخ واهياً مختلطاً، وناظره مرتبكاً، وعدّ من مناحي العامّة) (ابن خلدون، 2000م، ج1ص44).

المبحث الثاني: مفهوم المؤرّخ وفلسفة التاريخ

عُرّف المؤرخ في اللغة بأنّه عالم التاريخ (إبراهيم مصطفى، 2004م، ج1ص13) فيقال مُؤَرِّخٌ عربيٌّ: مَن يُؤَرِّخُ لِأَحداث العَرب ومعارِكِهم، أَي العَالِمُ بالتَّارِيخِ، فإذا قيل: كان الطّبري مُؤَرِّخًا عظيمًا يعني بذلك أنّه علم التاريخ وكاتبه (يسري، 1983م،ص120).

واصطلاحاً فالمؤرّخ "هو الذي يتناول الأحداث التاريخيّة بحسب تسلسلها الزمني مستفيداً من المصنفات التي تناولت تلك الأحداث، وقد يختار ويميز وينقد الروايات التي ينقلها، كما استفاد من العلوم الأخرى حين وضع مصنفه الكبير في التاريخ" (يسري، 1983م،ص121).

أما مفهوم فلسفة التاريخ (الجبوري، 2013، 07:06:33) فتعني دراسة التاريخ دراسة عقلية ناقدة، ترفض الخرافات، وتنقح التاريخ من الأساطير والمبالغات، وكل رواية غير مقبولة لدى العقل أو محتملة الشك. إنّ فلسفة التاريخ لا تعني أن تكون دراسة التاريخ أكواماً مترامية من المعارك الحربية أو المعاهدات السياسية دون معنى مفهوم أو حكمة بادية، وتهدف إلى تنقيح التاريخ بما يمكن تسميته بالتاريخ النّقدي وصولاً إلى تعديل طبيعة الدّراسة التاريخيّة من التاريخ السياسي والعسكري إلى فلسفة الحضارة، ومهمة التاريخ النّقدي أن يحرر الفكر الإنساني من العبودية والخرافة من أجل نشر الحرية وتنوير والعقل، ومهمة فلسفة الحضارة أن تتسع دراسة التاريخ لما هو أهم من أخبار المعارك وسير الملوك وأحداث البلاد وهذه فلسفة التاريخ من وجهة نظر فولتير (الرشيدي، نسخة الكترونية).

ويقصد بالنّقد لغة : التمييز (الفراهيدي، 1424هـ، ج5ص118) والإبراز والكشف عن حال الشيء في جودته أو رداءته، أما في التعريف الاصطلاحي: يقصد بالنّقد في التاريخ كعلم : كشف الحقيقة عن ماض الإنسان بالبحث والقراءة في المصادر وتحليلها ومناقشتها والحكم عليها(د0حران، ت:بدون، ص20)، ومن خلال هذا التعريف يتبيّن مفهوم النّقد التاريخيّ للأحداث، حيث يقوم النّاقد بوصف وتسجيل ما مضى من أحداث في الماضي ثمّ يدرس هذه الوقائع والأحداث، ويحللها، ويفسرها على منهجية علمية دقيقة بقصد التوصل إلى حقائق وتعميمات تساعد على الحاضر وتوقعات المستقبل على منهجية متبعة للتوصل إلى الحقائق (دويدري، 1421هـ، ص162)، ويطلق على عملية "التحليل" المفصل للاستدلالات التي تقود من ملاحظة الوثائق إلى معرفة الوقائع والحقائق اسم "النّقد"، وهي عملية ضرورية لجميع الوثائق مهما كان نوعها، يقوم فيها الباحث التاريخيّ بعملية فكرية تراجعية، تمثل فيها الوثيقة نقطة الانطلاق، والواقعة التاريخيّة نقطة الهدف، وبينهما سلسلة من الاستدلالات تكون فيها فرص الخطأ عديدة.

أما فسلفة التاريخ لدى ابن خلدون فهي التّميز بين الظاهر والباطن في التاريخ لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى، وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق وجدير بأن يُعدّ في علومها وخليق.

مضمون فلسفة التاريخ عند ابن خلدون:

إنّ ابن خلدون توصل إلى وضع مضمون لفلسفة التاريخ وجوهره، وسنّ للبحث التاريخيّ الفلسفيّ منهجاً يعد فتحاً جديداً في عالم التاريخ والفكر، وتشمل فلسفة التاريخ عنده ما يلي:-

1. الاهتمام بالحدث التاريخيّ، لماذا وقع الحدث؟ وكيف جاء الإخبار عنه؟ ولماذا تمت صياغة الخبر بهذا الشكل؟ وما هي النتائج التي تترتب على حركة التاريخ؟
2. البحث عن خلفياته(الحدث) وعن مبتغاها، والخروج بالحدث عن دائرته الذاتية إلى دائرة أوسع، أي البعد عن الأهواء والرغبات الشخصية التي تختص بالإنسان إلى

النّظرة الموضوعية الشمولية التي تبتعد تماماً عن الذاتية، وإخضاع كل المعلومات المتحصلة للتحليل والتدقيق، بمعنى أنّ المؤرخ المستخدم لفلسفة التاريخ لابد أن يهتم بتحليل الحدث والأخبار التاريخيّة حيث يقوم بتقسيم الأفكار المركبة إلى أفكار بسيطة تفيد المجتمع، ونبّه ابن خلدون إلى أنّ الحدث التاريخيّ نحكم بقبوله أو تزييفه بحسب مطابقته لأحوال العمران أو عدم مطابقته، والظواهر الاجتماعية ظواهر طبيعية يمكن إدراكها ومعرفة أسبابها وما يلحقها من العوارض ذاتها حتى يصبح الخبر يفيد اليقين والبعد عن الظن.

وعليه؛ وبناء على ما سبق، فإنّ هنالك صفات ينبغي توافرها في المؤرّخ مستنبطة من كلام ابن خلدون في المقدمة (ابن خلدون، 2000م، ج1ص44):

أولاً: ينبغي أن يكون المؤرّخ نقّاداً لا يروي القصص كما هي دون تثّبت وتمحيص، بل لابد من إخضاع المرويات التاريخيّة لقواعد النّقد العلمي، وهذه الصفة لو تخلّى عنها المؤرّخ أصبح قصّاصاً يروي الأخبار كغيره من عامة النَّاس، فينبغي أن يتحلَّى المؤرّخ بملكة النّقد فيطرح ما يراه كذباً، ويقبل ما يراه حقاً، قال ابن خلدون: "فقد زلّت أقدام كثير من الأثبات والمؤرّخين الحفّاظ في مثل هذه الأحاديث والآراء، وعلقت أفكارهم، ونقلها عنهم الكافة من ضعفة النّظر والغفلة عن القياس، وتلقوها هم أيضاً كذلك من غير بحث ولا روية، واندرجت في محفوظاتهم حتى صار فنّ التاريخ واهياً مختلطاً، وناظره مرتبكاً وعُدّ من مناحي العامة" (ابن خلدون، 2000م، ج1ص44).

ثانياً: معرفة المؤرّخ بطبائع العمران البشري، وما يحيله العقل من القصص الواهية، فإنّ ذلك يعينه على التمييز بين الأخبار، قال ابن خلدون: "فإذا كان السّامع عارفاً بطبائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياتها، أعانه ذلك في تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب، وهذا أبلغ في التمحيص من كل وجه يعرض" (ابن خلدون، 2000م، ج1ص47)، فهو يرى أنّه عندما يريد المؤرّخ التمييز بين صحيح المرويات وباطلها أن يستخدم قواعد الاجتماع البشري. ويذهب ابن خلدون بهذا المنهج إلى أنّ النّظر في الخبر التاريخيّ من حيث كونه ممكناً أولا مقدماً على النّظر في التعديل والتجريح في الروايات التاريخيّة بحيث إنّها إذا كانت مستحيلة الوقوع، فلا فائدة من النّظر في السند، فقال :"

طبائع العمران وهو أحسن الوجوه وأوثقها في تمحيص الأخبار، وتمييز صدقها من كذبها، وهو سابق على التّمحيص بتعديل الرّواة، ولا يرجع إلى تعديل الرّواة حتّى يعلم أنّ ذلك الخبر في نفسه ممكن أو ممتنع، وأمّا إذا كان مستحيلاً فلا فائدة للنّظر في التّعديل والتّجريح، ولقد عدّ أهل النّظر من المطاعن في الخبر استحالة مدلول اللّفظ وتأويله بما لا يقبله العقل، وإنّما كان التّعديل والتّجريح هو المعتبر في صحّة الأخبار الشّرعيّة؛ لأنّ معظمها تكاليف إنشائيّة -أي أوامر و نواهـ-أوجب الشّارع العمل بها حتّى حصل الظّنّ بصدقها وسبيل صحّة الظّنّ الثّقة بالرّواة بالعدالة والضّبط، وأما الأخبار عن الواقعات- أي أخبار البشر- فلا بدّ في صدقها وصحّتها من اعتبار المطابقة فلذلك وجب أن ينظر في إمكان وقوعه وصار فيها ذلك أهمّ من التّعديل ومقدّماً عليه؛ إذ فائدة الإنشاء مقتبسة منه فقط، وفائدة الخبر منه ومن الخارج بالمطابقة" (ابن خلدون، 2000م، ج1ص48)، والذي تميل إليه النّفس أنّه لا مشاحاة في الجمع بين استخدام طريقة أهل الحديث في التعديل والتجريح للرواة لمعرفة صحيح الرواية من سقيمها، وكذلك تضاف إليها هذا المنهج الذي ذكره ابن خلدون والذي أسماه طبائع العمران.

ثالثاً: لابد للمؤرخ من مجانبة التّقليد لمن سبقه فلا يعطل عقله وطبعه، لاسيما وأنّ هذه المرويات قد يكون فيها ما هو مستحيل الحدوث، قال ابن خلدون : "وكثيراً ما يعرض للسّامعين قبول الأخبار المستحيلة وينقلونها وتؤثر عنهم كما نقله المسعودي عن الإسكندر لمّا صدته دواب البحر عن بناء الإسكندرية، وكيف اتخذ صندوق الزجاج، وغاص فيه إلى قعر البحر، حتى صوّر تلك الدواب الشيطانية التي رآها، وعمل تماثيلها من أجساد معدنية، ونصبها حذاء البنيان، ففرت تلك الدواب حين خرجت وعاينتها، وتم بناؤها في حكاية طويلة من أحاديث خرافة مستحيلة" (ابن خلدون، 2000م، ج1ص36).

المطلب الثاني: طبقات المؤرّخين عند ابن خلدون

استقرأ ابن خلدون كتب التاريخ فوجد المؤرّخين على طبقات:-

الطبقة الأولى: طبقة فحول المؤرّخين، ويذكر ابن خلدون أنّ هؤلاء جمعوا أخبار الأمم في كتبهم كما قال : "فحول المؤرّخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيّام وجمعوها وسطّروها في صفحات الدفاتر وأودعوها" (ابن خلدون، 2000م، ج1ص6)، وذكر منهم: ابن إسحاق،

والطّبري، وابن الكلبي، ومحمد بن عمر الواقديّ، وسيف بن عمر الأسدي، وغيرهم من المشاهير المتميزين عن الجماهير، وإن كان في كتب المسعودي والواقديّ من المطعن والمغمز ما هو معروف عند الإثبات ومشهور بين الحفظة الثقات، وإدراج بعض هؤلاء فيه نظر كبير مثل المسعودي على ما في كتبه من أباطيل، والمسعودي لا يقارن بالطّبري، وكذا ابن الكلبي، والواقديّ، وسيف بن عمر، ومحمد بن إسحق، فإنّ هؤلاء اختلف فيهم العلماء جرحاً وتعديلاً.

الطبقة الثانية: طبقة المتطفلين : وصف ابن خلدون طبقة أخرى من طبقات المؤرّخين بالتطفل، وهؤلاء عنده أنّهم خلطوا الأخبار بالباطل خطأ أو عمداً، وقال بعد ما ذكر طبقة الفحول من المؤرّخين: "وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل، وهموا فيها وابتدعوها، وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها" (ابن خلدون، 2000م، ج1ص6)، ثم يتطرق إلى أنّ التطفل على العلوم كثير ومنتشر ولكن النّاقد البصير يستطيع أن يميز بين الحق والباطل، فيقول ابن خلدون: " والتّطفّل على الفنون عريض طويل، ومرعى الجهل بين الأنام وخيم وبيل، والحق لا يقاوم سلطانه، والباطل يقذف بشهاب النّظر شيطانه، والناقل إنما هو يملي وينقل، والبصيرة تنقد الصحيح إذا تعقّل، والعلم يجلو لها صفحات القلوب ويصقل هذا) (ابن خلدون، 2000م، ج1ص6).

الطبقة الثالثة: طبقة المقلدين: وصف ابن خلدون طبقة ثالثة بطبقة المقلدين الذين اتّبعوا آثار هؤلاء، ولم ينقحوا الأخبار فيما حملوه من الروايات، قال ابن خلدون: " واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها وأدوها إلينا كما سمعوها، ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها ولا رفضوا ترهات الأحاديث ولا دفعوها؛ فالتحقيق قليل وطرف التنقيح في الغالب كليل، والغلط والوهم نسيب للأخبار وخليل، والتّقليد عريق في الآدميين" (ابن خلدون، 2000م، ج1ص6).

الطبقة الرابعة: طبقة المختصرين: هؤلاء ذهبوا إلى الاكتفاء بأسماء الملوك والأمصار، كما فعله ابن رشيق في ميزان العمل، قال ابن خلدون: " ثم جاء آخرون بإفراط الاختصار، وذهبوا إلى الاكتفاء بأسماء الملوك، والاقتصار مقطوعة عن الأنساب، والأخبار موضوعة عليها أعداد أيّامهم بحروف الغبار، كما فعله ابن رشيق في ميزان العمل، ومن اقتفى هذا الأثر من

الهمل، وليس يعتبر لهؤلاء مقال، ولا يعد لهم ثبوت ولا انتقال، لما أذهبوا من الفوائد، وأخلّوا بالمذاهب المعروفة للمؤرّخين والعوائد" (ابن خلدون، 2000م، ج1ص6).

المبحث الثالث: مصطلح الأخْبَاريّ، ومن تكلم فيهم من الأخْبَاريّين

المطلب الأول: مصطلح الأخْبَاريّ

تعريف الأخباريّ لغة : (الأخباريّ) المؤرّخ (نسب إلى الأخبار) (إبراهيم مصطفى وآخرون،، ج1 ص215)، مفردها الخبر، قال ابن منظور : " الخَبَرُ بالتحريك واحد الأخبار، والخبر ما أتاك من نبأ عمن تستخبر، قال ابن سيده: الخبر النبأ. والجمع أخبار وأخابير جمع الجمع. فأما قوله تعالى:﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا[﴾الزلزلة:٤] فمعناه يوم تزلزل تخبر بما عمل عليها (ابن منظور، 1414 هـ، ج3ص12).

أما تعريف الأخباريّ اصطلاحاً: قال السَّمعاني:" الأخْبَاريّ: نسبة إلى الأخبار، ويقال لمن يروي الحكايات والقصص والنوادر الأخباريّ" (السمعاني، 1382هـ، ج1ص94).

ومن خلال هذا التعريف فيمكن أن نميز بين المؤرّخ والأخباريّ، فإنّ الأخباريّ هو الذي استوعب الروايات لكل خبر، وحافظ على اتصالها من رواتها، وجمعها في مصنفات تتناول حدثاً من الحوادث التاريخيّة. أما حين يتناول هذه الأحداث التاريخيّة وهو مميز لها مخضع لها لقواعد النّقد العلمي فهو في هذه الحالة مؤرخ، وعلى هذا الاعتبار يسمى الطّبري مؤرخا، أما أمثال جابر الْجُعْفِيّ وأبي مِخْنَف فهؤلاء يعدّون من الأخباريّين.

المطلب الثاني: ترجمة من تُكّلم فيه من الأخْبَاريّين:

أكثر الأخباريّين الشِّيعة من تناول الروايات التاريخيّة تبديلاً للحقائق وتزييفاً للوقائع، فاختلقوا القصص والأكاذيب على أصحاب القرون المفضلة، حتى صار هذا الفنّ مزلّة أقدام عند بعض المنسوبين إلى السُّنة وأهلها، فصاروا ينقلون عن هؤلاء الرواة فوقعوا في المحذور، مما أدّى إلى تزييف كثير من حقائق التاريخ الإسلامي سواء بقصد أم

بدون قصد، وفي هذا المطلب ستتم الإشارة إلى أشهر أولئك الرواة والأخباريّين لكثرة مروياتهم ومنهم:

أولاً: أبو مِخْنَف لوط بن يحيى: من أصحاب عليّ عليه السلام" ابن النديم، 1398هـ، ص136)، توفي سنة سبع وخمسين ومائة، قال الذهبي : لوط بن يحيى، أبو مِخْنَف الكوفي الرافضي الأخباريّ صاحب هاتيك التصانيف" (الذهبي، 2003م، ج4ص189). وقال ابن حجر: "أخباريّ تالف لا يوثق به" (ابن حجر، 1390هـ، ص492)، ويعدُّ لوط بن يحيى أحد المصادر التي اعتمد عليها الطّبري في فترة الخلافة الراشدة، والخلافة الأموية، حيث روى عنه خمسمائة وسبعاً وثمانين رواية(الخميس، 1999م، ص35)، وهذه الروايات تبدأ من وفاة النَّبيّ ﷺ وتنتهي إلى خلافة يزيد.

ثانياً: جابر بن يزيد الْجُعْفِيّ: وكان رافضياً، توفي سنة ثمان وعشرين ومائة من الهجرة النَّبويّة(الفالوجي، 1426هـ، ج1 ص86)، وكان له عدد من المعتقدات الباطلة المخالفة لما عليه المسلمون منها :إيمانه بالرجعة، قال ابن الأثير عن أحداث سنة 128هـ: "وفيها توفي جابر بن يزيد الْجُعْفِيّ، وكان من غلاة الشِّيعة يقول بالرجعة" (ابن الأثير، 1417هـ، ج4ص354)، ومعنى الرجعة عند الشِّيعة عبارة عن حشر قوم عند قيام قائمهم ممن تقدم موتهم من أوليائه وشيعته، ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته، بظهور دولته، وقوم من أعدائه ينتقم منهم، وينالوا بعض ما يستحقونه من العذاب والقتل على أيدي شيعته وليبتلوا بالذل والخزي بما يشاهدونه من علو كلمته. وفكرة الرجعة إلى الدنيا بعد الموت مخالفة صريحة لنص القرآن، وباطلة بدلالة آيات عديدة من كتاب الله سبحانه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩ – ١٠٠]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٣١]، وادعاؤه أنّ علياً فوق السّحاب، وإيمانه بالوصية(الفسوي، 1401 هـ، ج2 ص715)، وادعاؤه التحريف اللفظي للقرآن الكريم، وأنّ القرآن الكريم لم يجمعه إلا الأئمة، فقد كثرت الروايات عن جابر الْجُعْفِيّ التي يروي فيها كذباً تحريفاً وقع في القرآن الكريم، وأنّ له تأويلاً ظاهراً وباطناً، إضافة إلى ادّعائه أنّ القرآن الكريم لم يجمعه إلا علي والأئمة من بعده (الكليني، 1426هـ، ج1 ص417).

ثالثاً: سيف بن عمر التميمي: أخباريّ مشهور، وأحد رواة الحديث، قال عنه الذهبي: إنّه مصنف كتاب الفتوح والردة، ونسبه أنه كان أخبارياً عارفاً(الذهبي، 1382هـ، ج2ص255)،اتهمه ابن حبّان بالزندقة وأنّه يروي الموضوعات، وقال السّيوطي: "سيف متروك: أُتّهم بالوضع وبالزندقة " (السيوطي، 1417هـ، ج1ص144)، مات سيف زمن الرشيد.

رابعاً: محمد بن السائب الكلبي: الأخباري المفسر، وكان أيضاً رأساً في الأنساب، إلا أنّه شيعي، متروك الحديث(الذهبي، 1405هـ، ج6ص358)، قال محمد بن عبد الله الحضرمي(الذهبي، 1405هـ، ج14ص41): مات بالكوفة سنة ست و أربعين و مئة، تضافرت أقوال أهل العلم على اتهام الكلبي بالكذب وردّ مروياته، ومن ذلك ما ذكر عن معتمر بن سليمان، عن أبيه قوله:(كان بالكوفة كذابان أحدهما الكلبى) (المزي،1400هـ، ص248)، و قال السّاجي: متروك الحديث، و كان ضعيفاً جداً لفرطه فى التشيع، و قد اتفق ثقات أهل النقل على ذمه و ترك الرواية عنه فى الأحكام و الفروع.

الخاتمة:

من خلال ما سبق يتبين أهمية هذا البحث الذي عمل على تصحيح المفاهيم حول فلسفة التاريخ الإسلامي ومصطلحاته ذات الصلة، وبيان منهج ابن خلدون في استخدامه قواعد الاجتماع البشري في تمحيص الأخبار وتمييز صدقها من كذبها حتى يعلم الناظر في التاريخ أنّ تلك الأخبار في نفسها ممكنة أو ممتنعة.

بعد الدراسة والتحليل تتأكد جملة من النتائج والتوصيات، وهي على النحو التالي:-

1. التاريخ الإسلامي جدير بأن يلتفت إليه المرء، تمييزاً بين رواياتها التاريخيّة التي تعرضت للكثير من التدليس والتلفيق في الروايات من عدد من الأخباريّين مما أسهم في رسم صورة مغايرة لبعض أحداث التاريخ الإسلامي دفعت بالعقول إلى تحليلات خاطئة تماماً.
2. لم ترد لفظة التاريخ في القرآن الكريم ولا في حديث نبويّ، ولم يعرف أنّها وردت في الشعر الجاهلي، وإنّما وردت في رسالة أبي موسى الأشعري إلى عمر بن الخطاب ﷺ (إنّه

يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ)، وإن كان غياب المصطلح لا يعني غياب المعنى فلقد جاء في القرآن الكريم ما يدل على التاريخ، وعلى ضرورة الاهتمام به، ويتضح ذلك من الآيات التي تحمل لفظة القصص.

3. القرآن الكريم يقدم لنا خلاصات التجارب البشرية عبراً يسير على هديها أولو الألباب؛ فالتاريخ يسير وفق هذه السُّنن والنّواميس، وهي ثابتة لا تتغير، والقرآن الكريم كشف عنها النقاب وأكدّ وجودها، ونقلها في حركة التاريخ، في وقت ظل المؤرِّخون والمفكرون يتخبطون في دراساتهم التاريخيّة محاولين الوصول إلى هذه السُّنن التي تحكم حركة التاريخ.
4. الاهتمام بفلسفة التاريخ التي تهدف إلى تنقيح التاريخ بما يمكن تسميته بالتاريخ النّقدي، والذي يعني دراسة التاريخ دراسة عقلية ناقدة، ترفض الخرافات، وتنّقح التاريخ من الأساطير والمبالغات.
5. ذكر أهم الصفات التي ينبغي توافرها في المؤرّخ عند ابن خلدون، وهي أن يكون نقّاداً لا يروي القصص كما هي دون تثّبت وتمحيص، ومعرفة المؤرّخ بطبائع العمران البشري، وما يحيله العقل من القصص الواهية، فإنّ ذلك يعينه على التّمييز بين الأخبار.
6. استناداً إلى الاستقراء في كتب المؤرخين، فإنّ ابن خلدون قد قسّم المؤرخين إلى طبقات، فالطبقة الأولى منهم : طبقة فحول المؤرّخين في الإسلام، أما الطبقة الثانية هي طبقة المتطفلين : وهؤلاء خلطوا الأخبار بالباطل خطأً أو عمداً، والطبقة الثالثة: طبقة المقلدين: الذين اتّبعوا آثار هؤلاء، ولم ينقحوا الأخبار فيما حملوه من الروايات، والطبقة الرابعة: طبقة المختصرين: هؤلاء ذهبوا إلى الاكتفاء بأسماء الملوك والأمصار.
7. ليس كل ما أورده المؤرخون مثل الطبري وغيره من أخبار ومرويات تعني بالضرورة الصحة، ولم يتعهدوا نقل الصحيح فقط، وإنما يروونه مسنداً باسم من يحدثونهم.
8. هنالك مؤرخون وأخباريون ممن رُمِيَ بالكذب تناولوا الروايات التاريخيّة الإسلامية منهم: أبو مِخْنَف لوط بن يحيى، وجابر بن يزيد الْجُعْفِيّ، وسيف بن عمر التميمي، والكلبي، فصار بعض من جاء بعدهم ينقل عنهم، فوقع المحذور من تزييف كثير من الوقائع التاريخية سواء بقصد أم بدون قصد.

ثانياً: التوصيات

ومن أهم التوصيات التي خرج بها الباحث ما يأتي:

1. الاهتمام بروايات التاريخ الإسلامي من جهة الإسناد ليتميز الصحيح من السّقيم والتأكد من صحتها قبل تحليلها تربوياً وقيمياً.
2. استخدام المنهج النقدي الإسلامي المستخدم مع الأحاديث والآثار والذي لم يستخدم إلا نادراً في نطاق الرواية التاريخيّة والأدبية، وذلك لأنّ جلّ الطوائف التي سلكت سبيل غير المؤمنين دخلوا عن طريق التاريخ محاولة لتغيير معالمه.
3. الاستفادة من منهج ابن خلدون في استخدامه قواعد الاجتماع البشري في تمحيص الأخبار وتمييز صدقها من كذبها حتى يعلم الناظر في التاريخ أنّ تلك الأخبار في نفسها ممكنة أو ممتنعة.
4. عمل أطروحات علمية تأصيلية تعمل على تصحيح التاريخ الإسلامي، وتخليصه مما علق به من شوائب.
5. عمل مساهمات علمية وأبحاث في مرويات أخباريين كان لهم الأثر السيئ في تزييف كثير من تاريخ الصَّحابة ﷺ ومن هؤلاء :سيف بن عمر التميميّ، والكلبي، وجابر الْجُعْفِيِّ.

المصادر والمراجع

- إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، باب الهمزة، تحقيق، مجمع اللغة العربية، ن، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع- الإسكندرية- مصر ،2004م.
- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري، **الكامل في التاريخ**، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط الأولى، 1417هـ - 1997م.
- ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وذكر أطرافها، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع– بيروت، لبنان- ،379هـ
- ابن حجر، **لسان الميزان**، المحقق، دائرة المعرف النظامية – الهند، الناشر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان، ط الثانية، 1390هـ/1971م.
- ابن النديم، محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، **الفهرست**، تحقيق، إبراهيم رمضان، دار المعرفة - بيروت لبنان، 1398هـ/1978م.
- ابن خلدون، "عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون"، **تاريخ ابن خلدون**" المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"، تحقيق، الأستاذ خليل شحادة- مراجعة الدكتور، سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان ، 1421هـ-2000م.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، **البداية والنهاية**، ن، دار إحياء التراث العربي، ط الأولى ،1408هـ/ 1988م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، **لسان العرب**، الناشر، دار صادر – بيروت، ط الثالثة - 1414هـ
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي، البخاري، **الجامع الصحيح "صحيح البخاري"**، دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض، ط الرابعة، 1429هـ- يونيو 2008م.
- الخميس، عثمان محمد الخميس، **حقبة من التاريخ**، تقديم د. محمد أحمد إسماعيل المقدم، نشر دار الإيمان للنشر والتوزيع الإسكندرية ،1999م.

- حران، أحمد. **مدخل إلى علم التاريخ الإسلامي**، جامعة الخرطوم، (د.ت).
- دويدري، رجاء وحيد دويدري، **البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية**، دار الفكر المعاصر-بيروت-لبنان-دار الفكر-دمشق-سورية، ط الأولى - جمادى الآخرة 1421 هـ- أيلول سبتمبر.
- الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي :
  - **سير أعلام النبلاء**، المحقق ، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر ، مؤسسة الرسالة، ط الثالثة، 1405 هـ / 1985م.
  - **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، المحقق، الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر، دار الغرب الإسلامي، ط الأولى، 2003م.
  - **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تحقيق، علي محمد البجاوي، الناشر، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط الأولى، 1382 هـ - 1963م.
- الرشيدي، فيصل صلاح الرشيدي، **مفهوم فلسفة التاريخ عند ابن خلدون**، نسخة الإلكترونية، https،//books-library.net/free-442567517-download
- سالم ، السيد عبد العزيز سالم، **التاريخ والمؤرخون العرب**، ن، مؤسسة شباب الجامعة، 40 ش/ مصطفى مشرفة الإسكندرية، ط الأولى، 2008م
- السَّخاوي، (محمد بن عبد الرحمن بن محمد، شمس الدين السَّخاوي)، **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ**، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، 1983م.
- السَّمعانيّ، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السَّمعانيّ المروزي، أبو سعد، المتوفى، **الأنساب**، تحقيق، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط الأولى، 1382 هـ - 1962م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، **اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة**، تحقيق، أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان، ط الأولى، 1417 هـ - 1996م.
- صاهل، محمد صاهل السلمي، **منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريسه** ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة مصر، ط الأولى، 1408هـ 1988م.
- الصلابي، علي الصلابي، **صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي**، دار الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع الإسكندرية، 2003م.

- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، تحقيق، أحمد محمد شاكر، ن، مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان، ط، الأولى، 1420 هـ/2000م.
- الفالوجي، أكرم بن محمد زيادة الفالوجي، **المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري**، تقديم، علي حسن عبد الحميد الأثري، الدار الأثرية، الأردن-دار ابن عفان، القاهرة، 1426هـ.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، **كتاب العين**، تحقيق، د عبد الحميد الهنداوي، ن، دار الكتب العربية– بيروت- لبنان، ط الأولى، 1424هـ / 2003م.
- الفسوي، يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي، أبو يوسف، **المعرفة والتاريخ**، المحقق، أكرم ضياء العمري، الناشر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثانية، 1401 هـ-1981م.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح شمس الدين القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق، هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية، ط 1423 هـ/2003م.
- قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي:

  - **التصوير الفني في القرآن**، الشروق للنشر والتوزيع–القاهرة- مصر ، 1415 هـ 1995م.

  - **في التاريخ فكرة ومنهاج**، نشر دار الشروق-القاهرة، 1987م.
- الكليني، محمد بن يعقوب الكليني، **الأصول من الكافي**، كتاب الحجة باب" فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، دار المرتضى للنشر والتوزيع-بيروت لبنان، 1426هـ.
- المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، تحقيق، د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت- لبنان، ط الأولى، 1400 هـ – 1980م.
- يسري، يسري عبد الغني عبد الله، **معجم المؤرخين حتى القرن الثاني عشر الهجري**، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط الأولى، 1983م.